

## العولمة: واقع أم إدّولوجياً؟ في السنوات الأخيرة، وصف نوربرت إلّاس بحماس ما تُطلق عليه الْوَم "العولمة": "من الوالعَ تماً ما التحدث الْوَم عن البشرة باعتبارها الوحيدة العلّا للبماء. ولكن عادات الأفراد وتماههم مع مجموعات محدودة - وخاصة مع الدول المومّة - لا تزال متاخرة عن هذه الحمّمة" (إلّاس، 1991: 333). كان رى فّها "المراحل الأخيرة من عملة تطور اجتماعي طويلاً جًداً وفّر مبرمجة، كانت تؤدي دائياً ما وبشكل منهج [...] من وحدات اجتماعية أصّارِد وألل تماً زا، إلى وحدات اجتماعية أكبر وأكثر تماً زا وتعماً" (إلّاس، 1991: 221). خلبل العمد الماضي، ارتبطت هذه العولمة بسلسلة من العمليات التي حولت حّاة سكان الكوكب بشكل عمّك، مثل انتشار تمنّيات الاتصال الجدد، والتطور السريع للتجارة الحرة والتّمويل الدولي، والهجرة، وتغير المناخ، وبروز الصنّ والهند والبرازيل كقوى عظمى. تتطلب هذه التحولات إعادة تشكيل على مستوى الأفراد والمجتمعات والمؤسسات (دي مون، 1999). انخرط علماء الاجتماع في النماش حول "العولمة" منذ أوائل التسعينات. كان هذا المصطلح يستخدم في المقام الأول في العلوم الاقتصادية قبل ذلك. وخليل مؤتمر جمعية السوسيولوجيا الدولية عام 1993 في مدرد، وزع الكتاب الجماعي "العولمة، المعرفة والمجتمع" (أليبو/كُنّ، 1993) على 4333 مشارن. رغم أن العولمة ذكرت في العدد من ممارات A1 لمخصص أي عدد بالكامل لها، ولم تناقش إلا لقليل من الممارات النماش المفاهيم لهذا المصطلح. في العلوم الاجتماعية الناطمة بالإنجليزية، أصبح مصطلح "العالّم" واسع الاستخدام إلى درجة لتسائل البعض إن كان قد فمد جاذبيته الاستكشافية. كان الأمر مشابهاً إلى حد كبير بالنسبة لمصطلح "العولمة". ذهب أنتون جدنز (1999) إلى حد تعرّف بأنه "الطرّمة التي نعيش بها الْوَم، [...] الطّرّمة التي تم بها تنظيم الحّاة الاجتماعية في المكان والزمان". رى أنصار العولمة أن العولمة قد حّرت حّاة سكان الكوكب بسرعة لا يُجد لها مثيل في التاريخ. أدى سموط جدار برلين إلى إضفاء طابع مسرح على هذه الحمبة الجديدة. شهدت تكنولوجيا المعلومات والاتصالات تطويراً هائلاً لـ، خاصة مع الإنترنت والهواتف المحمولة التي كانت شبيهـاً معرفة في أوائل التسعينات. تم العمد التالـاً ضـا باتفاقات التجارة الحرة وفتح الحدود التجارية، مما بلـى ذروته بدخول الصنـن إلى منظمة التجارة العالمية (WTO) في 1995 على العكس، ملـ "المشككون" من أهمـة هذه العولمة. سـنستعرض تباـعاً ثلثة حجـج طرحـها من ظـرونـ مـكن رـيطـمـ بهـذا التـارـ المشـكـن في دراسـاتـ العـولـمـةـ، حتـىـ وإنـ لمـ شـرواـ إـلـيـهاـ بشـكـلـ صـرـحـ. تـأـتـ كلـ حـجـجـ منـ هـذـهـ حـجـجـ لـتواـزنـ بـعـضـ الإـفـرـاطـ فـ نـظـرـاتـ وـتصـورـاتـ "الـعالـمـ". عـدـ أـخـذـ حـجـجـ "المـشكـكـنـ" وـ"المـؤـدـنـ" بـعـنـ الـاعـتـبـارـ، دونـ الـاستـسـلـبـ لـلـقـرـاطـ فـ كـلـ الـمـوـالـفـنـ، خـطـوةـ نحوـ منـهـجـةـ تـجـعـلـ منـ الـعـولـمـ إـطاـراـ مـحـفـزاـ لـلـتـفـكـرـ فـ عـالـمـ الـوـمـ. # منـ هـمـنـ الشـمـولـ إـلـىـ تـمـفـصـلـ الـمـسـتـوـاتـ دـعـوـ مـشـلـ فـفـورـكاـ (2008) علمـاءـ الـاجـتمـاعـ إـلـىـ الـمـامـ بـ"لـفـزـ تـحـلـلـ كـبـرـةـ" منـ خـلـبـ تـرـكـ تـحـلـلـبـهـمـ عـلـىـ مـسـتـوـنـ كـتـسـبـانـ أـهـمـةـ مـتـزـادـةـ: الـفـردـ وـالـجـوانـبـ العـالـمـةـ. وـاـصـلـ بـذـلـنـ تـطـوـرـ مـنـظـورـ أـنـتونـ جـدنـزـ (1991) الـذـيـ أـشـارـ إـلـىـ أـنـ إـحـدـيـ "الـخـصـائـصـ المـمـزـدةـ لـلـحـدـاثـةـ" بـعـنـ كـوـنـتـهـ 4ـ وـهـ التـرابـطـ المـتـزـادـ بـنـ "طـرفـ" الـامـتدـادـ وـالـمـصـدـ: تـأـثـراتـ الـعـولـمـةـ منـ جـهـةـ، وـالـنـزـعـاتـ الـشـخـصـةـ منـ جـهـةـ آخرـيـ" (جـدنـزـ، 1991: 1). لـرـبـطـ هـذـنـ المـطـبـنـ، ضـعـ كـفـنـ ماـكـدونـالـدـ (2006) مـفـهـومـ "الـحـرـكـاتـ الـعـالـمـةـ" وـ"الـذـائـةـ" فـ صـلـبـ تـحـلـلـهـ، بـتـمـاـ عـتـمـدـ جـ. جـورـسـ (2007) بـدـرـجـةـ أـكـبـرـ عـلـىـ مـفـهـومـ "الـشـبـكـاتـ"، وـهـ أـشـكـالـ تـنـظـمـةـ مـرـنـةـ وـأـفـمـةـ مـسـتـوـحـاـةـ منـ أـعـمـالـ مـاـنـوـلـ كـاـسـتـلـزـ (1998). ضدـ نـماـنـجـ التـجـرـدـ وـالـعـوـمـمـاتـ الـتـ هـمـنـتـ لـفـتـةـ عـلـىـ عـلـمـ اـجـتمـاعـ الـعـولـمـةـ، أـصـبـحـ منـ الضـرـوريـ عـدـ نـسـانـ السـاقـ المـحـلـ لـلـظـواـهـرـ أوـ الـفـاعـلـنـ الـذـنـ لـدـهـمـ بـعـدـ دـوـلـ، وـهـذـاـ تـكـرـرـ كـتـمـةـ فـ مـمـالـاتـ وـأـبـحـاثـ RS&Aـ حـتـىـ تـعـهـدـ دـرـاسـاتـ الـحـالـةـ الـتـ أـجـراـهـاـ أـ.ـمـ.ـ فـلـمـنـوـتـ فـ أـوزـبـكـسـتـانـ (2006) وـ.ـ دـاسـتوـ وـبـ.ـ جـ.ـ لـورـانـ فـ بـورـكـاـ فـاسـوـ (2006) تـنـوعـ الإـسـلـمـ وـتـنـالـضـ معـ النـظـرـاتـ الـتـ تـخـزلـهـ إـلـىـ كـتـلةـ ثـمـافـةـ مـتـجـانـسـةـ (هـانـتـنـتونـ، 1999) أوـ الـتـ تـرـبـيـ بـنـ الـعـولـمـةـ وـالـتـجـانـسـ الـثـمـافـ بـسـرـعـةـ كـبـرـةـ.ـ وـكـمـاـ رـىـ جـونـ أـوريـ (2003)، نـبـدـ استـكـشـافـ الـعـولـمـةـ كـعـالـمـ مـتـعـدـدـ وـمـعـمـدـ (فـرـدـمـانـ/ـرـانـدـرـنـاـ، 2004) فالـمـجـتمـعـ الـأـكـثـرـ "عـولـمـةـ" لـاـعـنـ آـنـهـ "مـنـزـوـعـ الـمـحـلـةـ".ـ تـبـرـزـ مـعـظـمـ الـأـبـحـاثـ، حتـىـ تـلـنـ الـتـ تـرـكـرـ عـلـىـ تـنـفـذـ بـرـامـجـ دـوـلـةـ، أـهـمـةـ الـخـصـائـصـ الـمـحـلـةـ وـالـوـطـنـةـ وـدـنـاـمـاتـهاـ الـمـرـتـبـةـ بـتـلـنـ الإـطـارـاتـ.ـ تـعـهـدـ الـمـلـفـاتـ الـمـخـصـصـةـ لـإـدـارـةـ الـأـعـمـالـ فـ ظـلـ الـعـولـمـةـ (2009)، تحتـ إـشـراـجـ لـ.ـ مـتـزـنـ (أـنـ العـولـمـةـ تـؤـديـ بـالـفـعـلـ إـلـىـ تـفـرـ بعضـ الـمـارـسـاتـ، مـثـلـ فـرـضـ مـعـارـ مـحـاسـبـةـ دـوـلـةـ وـالـإـنـفـاتـجـ الـتـجـارـيـ.ـ وـمـعـ ذـلـنـ، بـمـيـ السـاقـ الـمـحـلـ مـهـمـاـ وـؤـثـرـ فـ كـفـةـ تـطبـكـ الـمـعـارـ Le "Nationalisme", الدولةـ (لوـنـاـوـنـسـ، 2009).ـ لـ دـمـ أـولـرـشـ بـنـ (1997، 2006) حـجـ جـاـ لـوـةـ ضدـ "الـنـزـعـةـ الـوـطـنـةـ الـمـنهـجـةـ méthodologique أيـ اـعـتـبـارـ الـدـوـلـ الـإـطـارـ الرـئـيـسـ لـلـتـحـلـلـ فـ الـعـلـمـ الـاجـتمـاعـ،ـ وـهـوـ مـاـ لـمـ عـدـ تـماـشـيـ مـعـ وـالـأـصـبـحـ أـكـثـرـ عـولـمـةـ وـمـحـلـةـ.ـ لـكـنـ بـنـ وـجـهـةـ نـظـرـ إـمـانـوـلـ وـالـرـشـتـانـ (1999: 19) الـذـيـ رـىـ أـنـ "فـ الـمـرـحـلـةـ الـاـنـتـمـالـةـ الـحـالـةـ،ـ مـكـنـ الـعـمـلـ عـلـىـ الـمـسـتـوـنـ الـمـحـلـ وـالـعـالـمـ،ـ وـلـكـنـ مـنـ تـفـرـ المـجـديـ نـسـبـاـ الـعـمـلـ عـلـىـ مـسـتـوـيـ الـدـوـلـ،ـ وـفـ وـجـهـةـ نـظـرـ الـعـلـمـاءـ السـاسـنـ الـذـنـ حـلـلـونـ حتـىـ أـكـثـرـ الـفـاعـلـنـ عـالـمـةـ فـ إـطـارـ وـطـنـ (أـرـكـوـلـانـسـكـ/ـفـلـوـلـ/ـمـارـ، 2005)،ـ فـإـنـ نـهـ جـاـ مـثـرـاـ لـلـبـهـمـاـ كـمـنـ فـ اـعـتـبـارـ أـنـ الـمـسـتـوـيـ الـوـطـنـ

ضروري لفهم الواقع المعاصر، بشرط أن لا يُتصدر التحلل عله بل أن دمج فـ ساق تداخل مع مستويات أخرى. بدلاً من التركيز على مظاهر ذلك (مُكرو) أو واسع (ماكرو)، محل أو عالم، تدعو هذه الأبحاث إلى ربط المستويات المختلفة. "التفاعل بين الحمائم المحلة وعمليات العولمة" هو الخط الرئيسي في العدد الخاص بالإسلام في مجلة Recherches Sociologiques et Anthropologiques

(داستُو، 2006: 1). تشكل أعمال ب. مارشال حول جماعة الإخوان المسلمين فـ أوروبا (2006) مثلاً ممتازاً على ذلن. فـ أوروبا، تمثلن هذه الجماعة أبعاداً متعددة عبر الحدود؛ فـ نشأت من الشتات وتظل متأثرة بعمك بهؤلاء إسلامية عالمية مرتبطة بمفهوم الأمة. ومع ذلن، لمْ منعها ذلن من تطور جذور محلّة عُمّمة، حتّى توجهها التضامنات والاحتياجات المحلّة. لمد تم التفكير في المستويات المحلّة والوطنة والدولة لفترة طويلة على أنها متعارضة، بينما في الحُمّة أن تكاملها وتفاعلها هو ما فتح آفاقاً مشجعة لفهم أفضل للواقع المعاصر (ساسن، 2007؛ فرّدمان، 2005). ## واقع جدد أم دناميكّة عمرها قرون؟ على عكس "المؤدين" الذين رون أن العولمة المعاصرة ظاهرة خاصة بزمننا الحال، عبر "المشككون" أنها لست سوى امتداد لعملة تمتد عبر لرون. لا خفّ إمانويل والرشتأن تشكيكه في الأهمية الاستكشافية لمفهوم العولمة الذي عبره "مفهوم ما تحلّل" في مقد" (والرشتأن، 2003:

أحاجي بـ "الكوزموبوليتة" (فرِدمان، 1999). أما الحجة الثانية فترفض فرض رؤية العالم مهمنة على أساس متطلبات العولمة الاقتصادية النوبلية. فـ ممابيل الأنثروبولوجيا الشمولية لأرجون أبادوري (2000) التي تضع الفاعلَين المتنَمِّين والثُّمَافات العابرة للحدود في الصدارة وتفصل الهُّوَّات عن الأراضي لتحولها إلى "مناطق انتفاضة"، "ethnoscapes" نتمدج. فرِدمان (2005) العولمة باعتبارها خطاباً روج للرسالة الأدُولوجية عابرة للحدود تملن المفهوم الاقتصادية وتنتصص من لُمة الارتباط بال محل. ) أضاً (2003)، شُرج. ل. مُتزجر و ب. بُرفَ مجلة Recherches Sociologiques إلى دور هذه النخب العابرة للحدود التي لا يمكن تجاهلها عند تحُّل العولمة المعاصرة. بعض مكونات هذه النخب الكوزموبوليتة استفادت من الترويج لهذه الرواية للعالم، سواء لفرض لوعاد التجارة الدولة التي كانت تصب في مصلحتها (اتفاقات التجارة الحرة، المنافسة بين العمال، تفكك دولة الرفاه الاجتماعي، الخ) أو للتهرب من المُودع التي تفرضها الجهات الفاعلة الوطنية، وخاصة في المجال الضريبي (كوهونن/مستروم، 2003). يربط بعض الباحثون العولمة بفرض سُاسات التصاعة نوبلية وبهمنة "اتفاق واشنطن" (هُلد، 2007). تمثل التحدى في تجاوز هذه الأدُولوجيات للكشك عن الصراعات بين الفاعلَين أو الحركات الاجتماعية حول تعرُّف وتطبُّق مشروع تحدث المجتمع في تجاهل تأثير الأدُولوجيات والخطابات التي تروج لها بعض الجهات الفاعلة العابرة للحدود على مسار جسده العولمة. لا يمكن تجاهل تأثير الأدُولوجيات والخطابات التي تروج لها بعض الجهات الفاعلة العابرة للحدود على مسار العولمة. لكن هل العولمة مجرد خطاب وهمنة؟ من الصعب إنكار الواقع الموضوع لبعض التحولات التي أحدثتها. جمع البعد الموضوع للعولمة معظم الدُّنامِكَات التي جمعها. داستُو (2006: 4) تحت مصطلح "الكوكبة": planétarisation زادَة التبادلات العالمية، تشمل الأشخاص، التمنيات الجديدة، التحولات في الحكم العالمي وتشابكاته المؤسسة، التغيرات في عالم الإنتاج الذي أصبح كتس طابع "الما بعد فوردية" (كاستلر، 1998) أو الأهمية المتزايدة للبلندسياد بـ المادي (كوهن، 2004). والعولمة ذات أضلاع. إنها، ولة للعالم، Weltanschauung تتسم بتغيير حذري، في تصوّرنا للزمان والمكان (ها، ف، 1993) لمدّت

التكنولوجيا الحدّثة طرّمتنا فـ رؤة العالم. "عالمنا" الوم هو الأرض. إنه بالطبع أكثر اتساعاً من العالم الذي عاش فيه أسلفنا، ولكن أضاً ولأول مرة، عالم محدود. وُسّاهم ظهور الأخطار العالمية (النوفة، تغير المناخ) فـ تعزز الوعي بمصرّ مشترن للبشرة (أليبرو، 1996). سمح هذا التمزّق الاستكشافي بـ بن الأبعاد الموضوعية والذاتية للعلوم بتسلّط الضوء على مجال من البحث والدراسات الفكرية. أولاً، إذا كانت العولمة رؤة للعالم، فإن هذه الأخيرة تمثل ساحة صراعات بين فاعلٍ اجتماعيٍ مختلفٍ سعون لفرض رؤيتهم للعلوم على المجتمع بـ أساسه. تتمم الفجوات بين الأبعاد الموضوعية والذاتية للعلوم مجاًلا آخر لـ تغييره. فـ بعض الحالات، تبدو رؤى العالم أكثر عولمة من الواقع الفعل. كما شرّ روبرت رأس (1993، نملب عن متجر/بر، 2003: 113) فإن هذا لا دلّي إلى سوء فهم للآلات المعنية وإلى رؤة متمامدة للتوازنات. ونتّجه لذلك، تملص تأثير هؤلاء الفاعلين ولدرتهم على الفعل الاجتماعي (بليرز، 2013). لذا، تُعزى إحدى المهام إلى العلوم الاجتماعية، والمثقفين، وفاعلين اجتماعيين مثل حركة مناهضة العولمة، وهـ المساهمة فـ تعزز الوعي بـ "الوضع العالمي" (أليبرو، 1996) للفاعلين الاجتماعيين، بهـ تعزز لدورهم على التأثير وتمكّنهم من التأثير على الممارسات التي ستؤثر على حاتهم (هـلد، 2007). ## عولمة بدون فاعلٍ؟ "الخطابات التي تؤكد أن العولمة هي ظاهرة التصادم بالدرجة الأولى، أو حتى الوحيدة، ترتبط عموماً بما يتأكد حتميتها: فالدول، وبالآخرى المواطنون، ليس لديهم خارج سوى التكتـ مع لوادع الاقتصاد العالمـ والانخراط في منافسة دولـة في محاولة للبسـتفادة منها بأفضل شكل. كما لالت السـدة تاتـشـرـ: "لا يوجد بدـل". فـ هل العولمة لـدر لا مفر منهـ، عملـة حـتمـة لاـ تستـطـع الفـعل الإنسـانـ التـأـثـير عـلـها بشـكـل كـبـرـ، وـيـدوـ أنها تـتـطلـب اـنـفـتاـحـ تـجـارـاـ وـتعـزـزـ هـمنـة الأسـواقـ؟" ؤـديـ هذاـ الخطـابـ إـلـىـ التـمـلـلـ منـ شـأنـ إـمـكـانـاتـ تـنـظـيمـ الـحـكـومـاتـ وـاتـخـاذـهاـ إـجـراءـاتـ (ثـومـبـسـونـ، 1999ـ؛ سـاسـنـ، 2006ـ؛ رـانـدـرـاـ، 2007ـ). تـُـظـهـرـ سـاسـنـ بـوضـوحـ أنـ الـعـولـمـ لـسـتـ مجـرـدـ إـلـاءـ لـلـتـنـظـمـ. بلـ هـ، عـلـىـ العـكـسـ، تـُـنـتـجـ وـتـضـبـطـ بـمـجمـوعـةـ كـبـرةـ منـ الـمـعـارـ وـالـمـوـاعـدـ المـعـتمـدةـ عـلـىـ الـمـسـتـوىـ الـوـطـنـ. لمـ فـمـدـتـ بـعـضـ الأـسـسـ التـيـ اـعـتـمـدـ عـلـهاـ الفـاعـلـونـ الـاجـتمـاعـيـونـ لـتـحـمـكـ التـأـثـيرـ الـاجـتمـاعـ خـلـيلـ المـرـنـ العـشـرـنـ فـعـالـتهاـ (رـيمـ أـنـهـاـ لمـ تـخـتـ تـماـ). وهذاـ هوـ الـحـالـ، عـلـىـ سـبـلـ المـثالـ، بـالـنـسـبةـ لـلـإـجـراءـاتـ التـيـ كـانـتـ تـسـتـهـدـ الـحـكـومـاتـ الـوـطـنـةـ. فـلـ بـتـزالـ هـاـتـهـ الـحـكـومـاتـ تـتـمـصـ دورـ الـلـبعـنـ الـمـؤـثـرـنـ، لـكـنـهـ لـمـ عـودـهـمـ فـ مرـكـزـ اللـعـبـةـ. بـعـاـنـ كـونـهـاـ "نـظـاـمـاـ بـلـ بـلـ فـاعـلـنـ"، ؤـديـ الـعـولـمـ إـلـىـ إـعادـةـ تـشـكـلـ عـمـمـةـ لمـدـراتـ الفـعلـ. تمـثـلـ الـعـولـمـ تـحدـاـ لـلـفـاعـلـ الـاتـصـادـنـ وـالـسـاسـنـ وـالـاجـتمـاعـيـنـ، وـلـكـنـهاـ تـمـدـ أـضاـ فـرـصـاـ جـددـةـ. ## خـلاـصـةـ: "ؤـديـ الـعـولـمـ إـلـىـ إـعادـةـ النـظرـ فـ مـسـأـلةـ التـأـثـيرـ الـاجـتمـاعـ وـلـدـرـةـ الـفـاعـلـينـ الـاجـتمـاعـيـنـ عـلـىـ الفـعلـ." لمـ أـدـيـ النـجـاحـ الـكـبـرـيـ الذـيـ حـمـمـهـ مـفـهـومـ الـعـولـمـ فـ الـعـلـومـ الـاجـتمـاعـيـةـ إـلـىـ ظـهـورـ موـالـهـ فـهـاـ فـ كـثـرـ مـنـ الأـحـانـ، سـوـاءـ مـنـ لـبـلـ أـنـصارـهـ أـوـ مـنـتـمـدـهـ، وـأـثـارـ نـماـشـاتـ مشـحـونـةـ بـالـأـدـولـوجـاـ. لمـ تمـ استـخدـامـهـ عـلـىـ نـطـاقـ وـاسـعـ وـلـدـ الـكـثـرـ مـنـ الـعـواـطـ وـالـنـماـشـاتـ لـدـرـجـةـ أـنـهـ فـمـدـ فـ بـعـضـ الـأـحـانـ كـلـ لـمـتهـ الـاستـكـشـافـةـ." لاـ مـكـنـ لـعـلمـ اـجـتمـاعـ دـلـكـ أـنـ كـونـهـاـ مـعـ أـوـ ضـدـ الـعـولـمـ." إنـ عـدـ الـاتـجـراـ وـرـاءـ مـبـالـهـاتـ الـمـؤـدـنـ لـلـعـولـمـ أـوـ الـمـتـشـكـكـنـ فـهـاـ سـمـحـ بـوـضـعـ الـأـسـسـ لـمـنهـ جـعلـ مـعـنـهـ إـطاـراـ مـحـفـ زـاـ لـلـتـفـكـرـ فـ تـحـدـاتـ الـعـالـمـ الـمـعاـصـرـ وـفـاعـلـهـ.